

الوافي في الوفيات

قال : فلم يكن بعد ذلك إلاَّ - أيام قلائل حتَّى توفي C تعالى وأكله الدود . وكتب على كتابي جنان الجناس لمَّ - وقف عليه : .

لقد ضمَّ - أجناس الجناس فأطربا ... وأعجزَ من باراه فيها فأتعبا .
صلاحُ لدينٍ أ - أبدى بدائعا ... تروق بالفاطِ أرقَّ - من الصَّبا .
يراه بليغ جاء بالمدح سائلا ... مجيزا مجيبا قولَه لا مخيَّبا .
بإنشاده هذا وإنشائه لقد ... به فات من قد فاق فضلا ومنصبا .
فَقُسَّ - إيادٍ عند ذا الفضل ناقلُ ... ولفظ امرئ القيس البديع هُنا هَبا .
ومن شعره لمَّ - أُمسك الأمير سيف الدين كَرَاي المنصور نائب دمشق : .
أنا راضٍ بحالتي لا مزيدي ... وبأن أزال عبدَ الحميدِ .
إنَّ - في أمر كافل الملك بالشا ... م عطاتٍ للحازم المستفيدِ .
جاءه بالتقليد أَرغُون بالأم ... س وولَّي وعاد بالتقييد .
ومنه : .

سَلَّابَ المهجةَ مذَّي ... بالجفونِ الفاتراتِ .
لم يزور البيت لم يَرَّ ... م الحشا بالجَمَراتِ .
ومنه : .

وكم سرحةٍ لي في الرُّبى زمنَ الصبا ... أشاهدُ مرأى حسنِها متملِّيا .
ويُسكِرني عَرَفُ الشذا من نسيمِها ... فأقضي هوَّي من طيبه حتفَ أنفيا .
وأسأل فيها مَبْسُومِ الروض قُبلةً ... فيُبرز من أكمامه لي أيديا .
فإن روضَ زرتُّه متنزَّها ... فأبدى لعيني حُسْن مرأى بلا رِيا .
غدا الغُصن فيه راقصا ونسيمُهُ ... يكرُّ على من زاره متعدِّيا .
ترجَّلتِ الأشجار والماء خَرَّ - إذ ... نسيمُ الصَّبا أضحى به متمشِّيا .
تُغَنِّدني لديه الوُرُق والغصنُ راقصُ ... فيعرقُ وجه الأرض من كثرة الحيا .
ومنه : .

فَعُدَّ - نفسكَ من أهل القبور بها ... فعن قليل إليها سوف تنقلُ .
واذكر مصارع قومٍ قد قضوا ومضوا ... كأَنَّهم لم يكونوا بعدما رحلوا .
يا ليتَ شعري ما قالوا وقيل لهم ... وما الذي قد أجابوا عندما سُئِلوا .
ومن نثره C تعالى يصف قلعة ذات أودية ومحاجر : لا تراها العيون لبعد مرماها إلاَّ -

شَزْرَاءَ وَلَا يَنْظُرُ سَاكِنُهَا الْعَدَدُ الْكَثِيرَ إِلَّا - نَزْرَاءَ . وَلَا يَظُنُّ نَاطِرُهَا إِلَّا - أَنْزَهَا طَالِعَةُ
بَيْنَ النُّجُومِ بِمَا لَهَا مِنَ الْأَبْرَاجِ وَلَهَا مِنَ الْفِرَاتِ خَنْدَقٌ يَحْفُُّهَا كَالْبَحْرِ إِلَّا - أَنْ هَذَا عَذْبُ
فِرَاتٍ وَهَذَا مَلْحٌ أُجَاجٌ . وَلَهَا وَادٍ لَا يَقِي لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ وَلَا حَرَّ الْهَوَاجِرِ وَقَدْ تَوَعَّـرَتْ
مَسَالِكُهُ فَلَا يُدَاسُ فِيهِ إِلَّا - عَلَى الْمَحَاجِرِ . وَتَفَاوَتْ مَا بَيْنَ مَرَّاهِ الْعَلِيِّ وَقَرَارِهِ الْعَمِيقِ
وَيَقْتَحِمُ رَاكِبُهُ الْهَوْلَ فِي هَبْوَطِهِ فَكَأَنَّ - مَا خَرَّ - مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ .

وَمِنْهُ فِي صَدْرِ كِتَابٍ : وَجَعَلَهُ لِحَقِيقَةِ الْعَلِيَاءِ نَفْسَاءً وَعَيْنَاءً وَلَا أَعْدَمَ الْمَلِكُ مِنْهُ نَاطِرَاءً وَلَا
عَيْنَاءً . وَلَا زَالَ عَلَى الْأَعْدَاءِ يَرْسُلُ مِنْ مَهَابَتِهِ رَقِيبِينَ أَذْنَاءً وَعَيْنَاءً . وَأَغْنَى بِمَكَارِمِهِ مِنْ أَنْ
نَشِيمُ مِنَ السَّمَاءِ خَالَاءً وَعَيْنَاءً . أَوْ نَزْرَدَ مِنَ الْأَرْضِ مِنْهَلَاءً وَعَيْنَاءً . وَأَطْلَعَ طَلْعَةُ لَوَائِهِ فِي
الْخَافَقَيْنِ حَتَّى تَخَالَ لَشَمْسِ عَيْنَاءٍ . وَسَيَّرَ رَكَائِبَ ذِكْرِهِ فِي الْآفَاقِ لَا تَشْتَكِي أَيْنَاءً وَلَا
عَيْنَاءً . وَأَقَامَ مِيزَانَ الْقِسْطِ بَيْنَ الرِّعَايَا لَا يَجِدُ فِيهِ عَيْنَاءً وَلَا عَيْنَاءً . وَاسْتَبَعَدَ لَخِدْمَتِهِ كُلَّ -
أَصِيدَ - مِنَ الْمُلُوكِ لِكُلِّ جَحْفَلٍ قَلْبَاءً وَلَكِنْ مَحْفَلٍ عَيْنَاءً . وَأَهْلَكَ كُلَّ - عَدُوٍّ - لَهُ وَحَاسِدَ تَارَةٍ
فَجَاءَةً وَتَارَةٍ عَيْنَاءً . وَأَنْطَقَ لِسَانُ كَرَمِهِ لِلْأَوْلِيَاءِ بَنُونَ وَعَيْنٌ وَمِيمٌ إِذْ كَتَبَ سَوَاهُ مِيمَاءً
وَنُونَاءً وَعَيْنَاءً . وَمَتَّعَهُ بِمَا خَصَّه مِنْ اسْتِجْلَاءِ عُرَائِسِ الْحُورِ الْعَيْنِ بِمَجَاهِدَتِهِ إِذَا شَغَلَ
سَوَاهُ عَيْنَاءُ مِنْ أَسْمَاءٍ وَعَيْنَاءً . وَسَطَّرَ آثَارَ مَآثِرِهِ مُحْكَمَةً عَلَى صَفْحَاتِ الْأَيَّامِ إِذْ لَمْ
يُذِقْ لِمَنْ سَلَفَ مِنَ الْمُلُوكِ أَثْرَاءً وَلَا عَيْنَاءً .

أَبُو حَيَّاتٍ التَّوْحِيدِي الشَّافِعِي